

فتى مسقط

حكايات
من
الماضي

٥

دار النفائس



حكايات النفائس للأطفال

فتى مسقط

باشراف
عدد من الاخصائيين

زكريا كايا



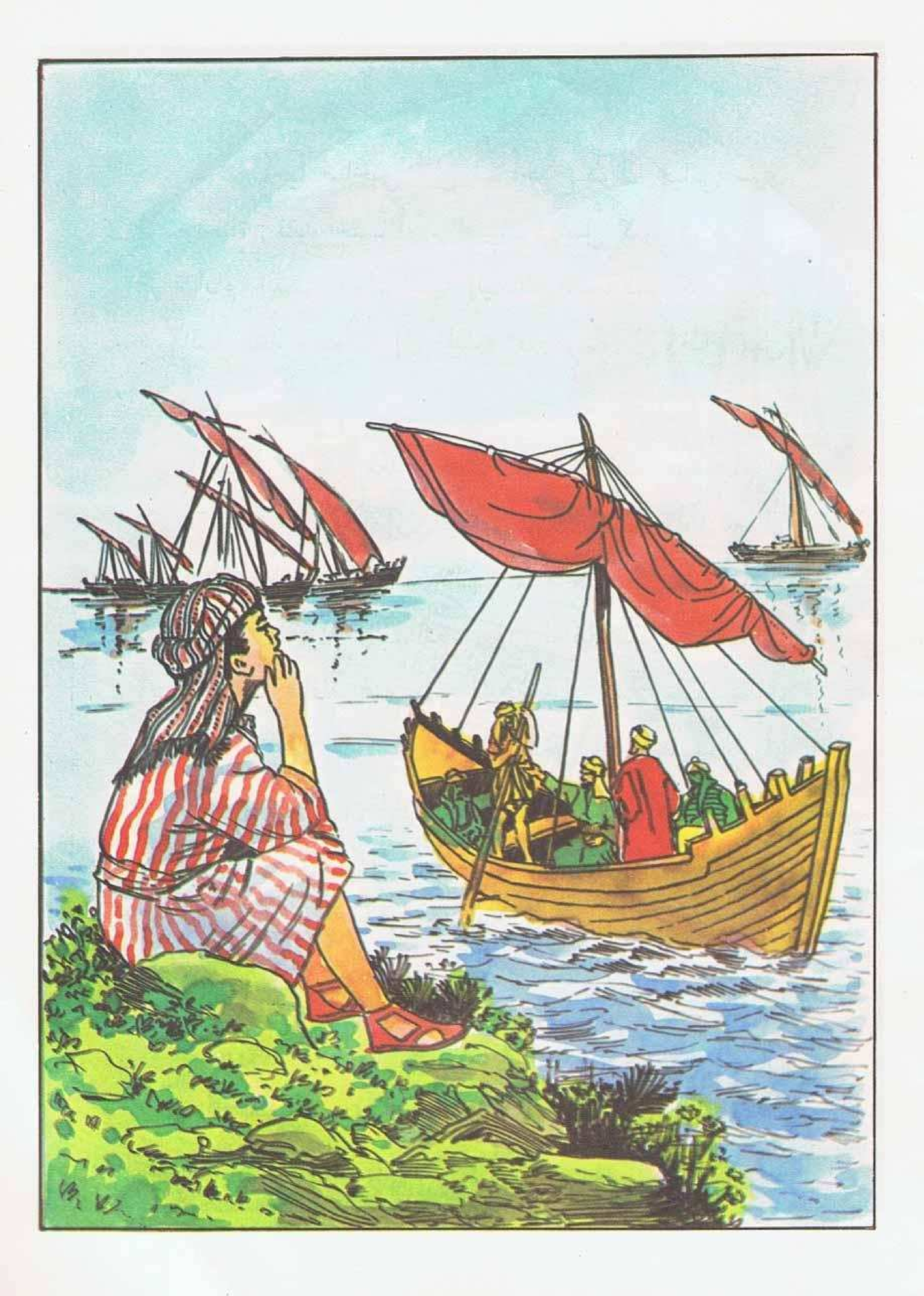
الطبعة الأولى : ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م
الطبعة الثالثة : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

تَقعُ أَراضي مَسْقَط على شاطئِ البحرِ شرقيّ العالمِ العربي . وكانَ سكانُها في قديمِ الزمانِ يعيشونَ على ما يصطادونَه مِنَ الأَسماكِ وما يستخرجونَه من اللؤلؤِ من أَعماقِ البحارِ . وفي بعضِ الأَحيانِ يركبونَ البحرَ ويذهبونَ إلى بلادٍ بعيدةٍ سعياً وراءَ الرزقِ .

فإذا كُتِبتْ لهم النجاةُ وَعادوا سالمينَ ، كانوا يتحدثُون عمَّا يُلاقونَه في سفراتِهم من أَهوالٍ ، وما يُشاهدونَه من عجائبِ الدنيا أَثناءَ مغامراتِهم .

وفي إحدى قرى مَسقَط الصغيرةِ ، كانَ الفتى « مَعَدٌّ » يصعدُ كلَ يومَ إلى مرتفَعٍ مشرف على البحرِ ، يتأَمَّلُ المراكبَ وهيَ تغيبُ وراءَ خطِّ الأُفقِ ، ويحلُمُ بأَرضِ العجائبِ (الهند) التي يتحدثُ عنها البحارةُ ، لكنه كانَ يخافُ التسللَ إلى مراكبِهم ، لانَّهُ يَسْمَعُ أَنَّ البحارةَ رجالٌ قساةٌ يُلقونَ بالصغارِ في مياهِ البحرِ إذا ما وجدوهُم في مراكِبِهم .

وكانَ معدٌّ كلما رأى عدداً من البحارةِ مجتمعينَ ، يَتسلّلُ إلى مكانٍ خفيٍ بالقربِ منهم ، وينصتُ إلى أَحاديثهم دونَ أَنيراهُأَحدٌ ،وذات مرّةٍ سمعَ أَحدَ البحارةِيقولُ لزميلهِ:

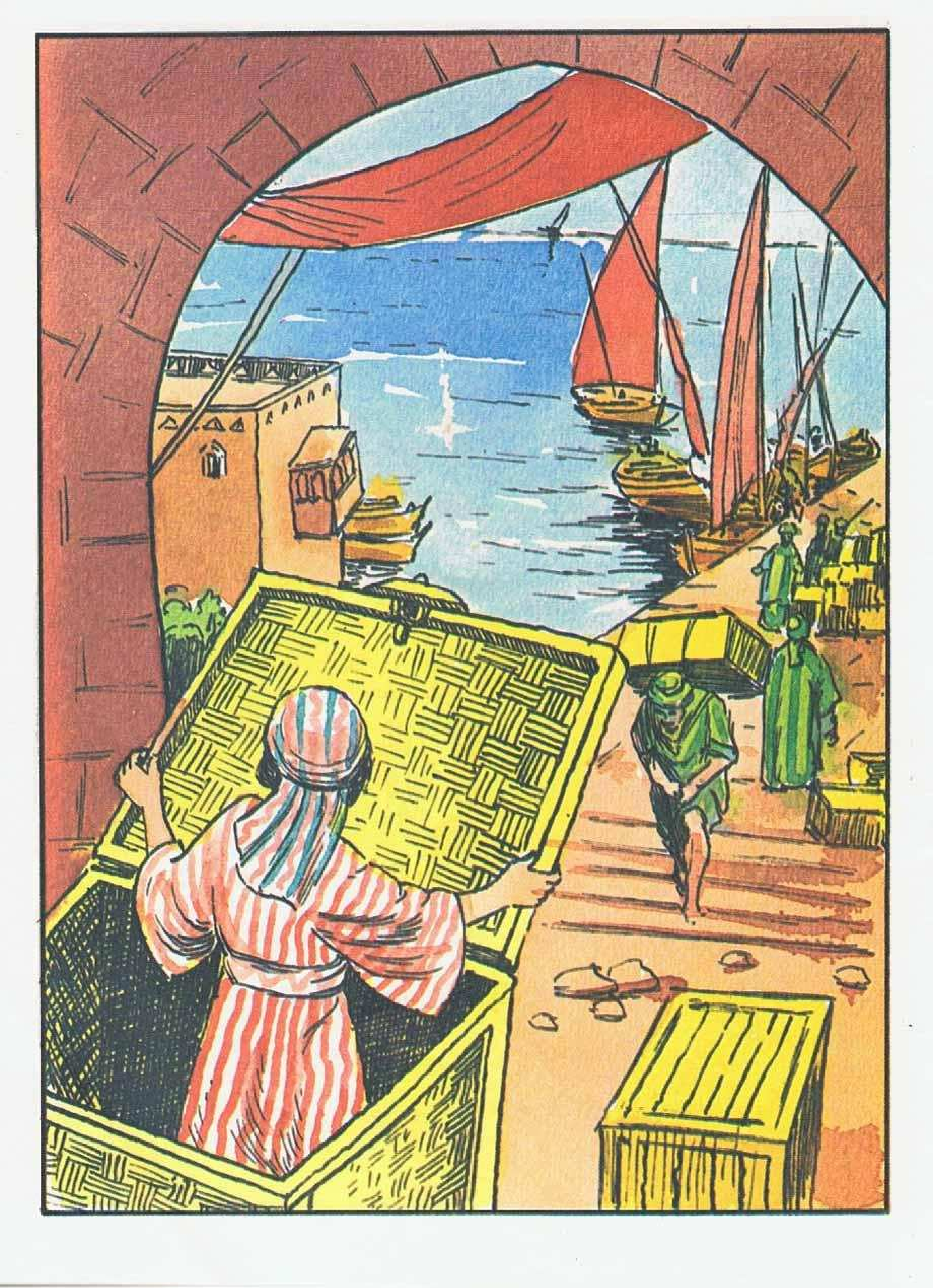


- أَتعلمُ يا صاحبي أَني لم أُخْدَع طَوالَ حياتي سوى مرةٍ واحدةٍ . فقد اختبأَ أَحَدُ الفتيانِ في سلٍّ كبيرٍ في مركبي طيلةَ أَيامِ السفرِ ، ولم أَتنبه إليه إلا عندما قَفَزَ كالعفريتِ من السلِّ بعدَ وصولِنا إلى الميناءِ ، وهربَ مني وضاعَ بينَ الناسِ .

أَعجَبت الفكرةُ مَعَدًّا ، فهيَّأَ طعاماً يكفيهِ عدَّةَ أيامٍ ، وقِربةَ ماءٍ ، وتوجَّهَ إلى الميناءِ . ولما وصلَه كانَ العمالُ يحملونَ بضائعَ التجارِ وسِلالَهم ، فاختلَط بِهم ، وأَخذَ يتمشى بين أَكوامِ البضائعِ . وفي لحظةٍ تبينَ خلالَها أَنَّ أَعينَ الناسِ غافلةٌ عنه قَفَزَ إلى إحدى السلالِ بسرعةٍ ، وأَحكمَ إغلاقَها على نفسِه من الداخل . وبعد ساعةٍ أَو أَقلَّ شعرَ بالحمالينَ ينقلونَ السلَّ إلى أَحدِ المراكبِ .

بقيَ معدٌ في السلِّ عدةَ أَيامٍ يتناولُ طعامَه في مخبئهِ ولا يُحْدثُ أَيَّ صوتٍ أَو ضوضاءَ .

وذاتَ ليلةٍ هبَّتْ ريحٌ شديدةٌ ، واضطرب البحرُ ، وهاجت الأَمواجُ ، وأَخذَ المركبُ يتمايلُ ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمَالِ ، حتى كادَ يغرقُ في مياهِ البحرِ . فخافَ



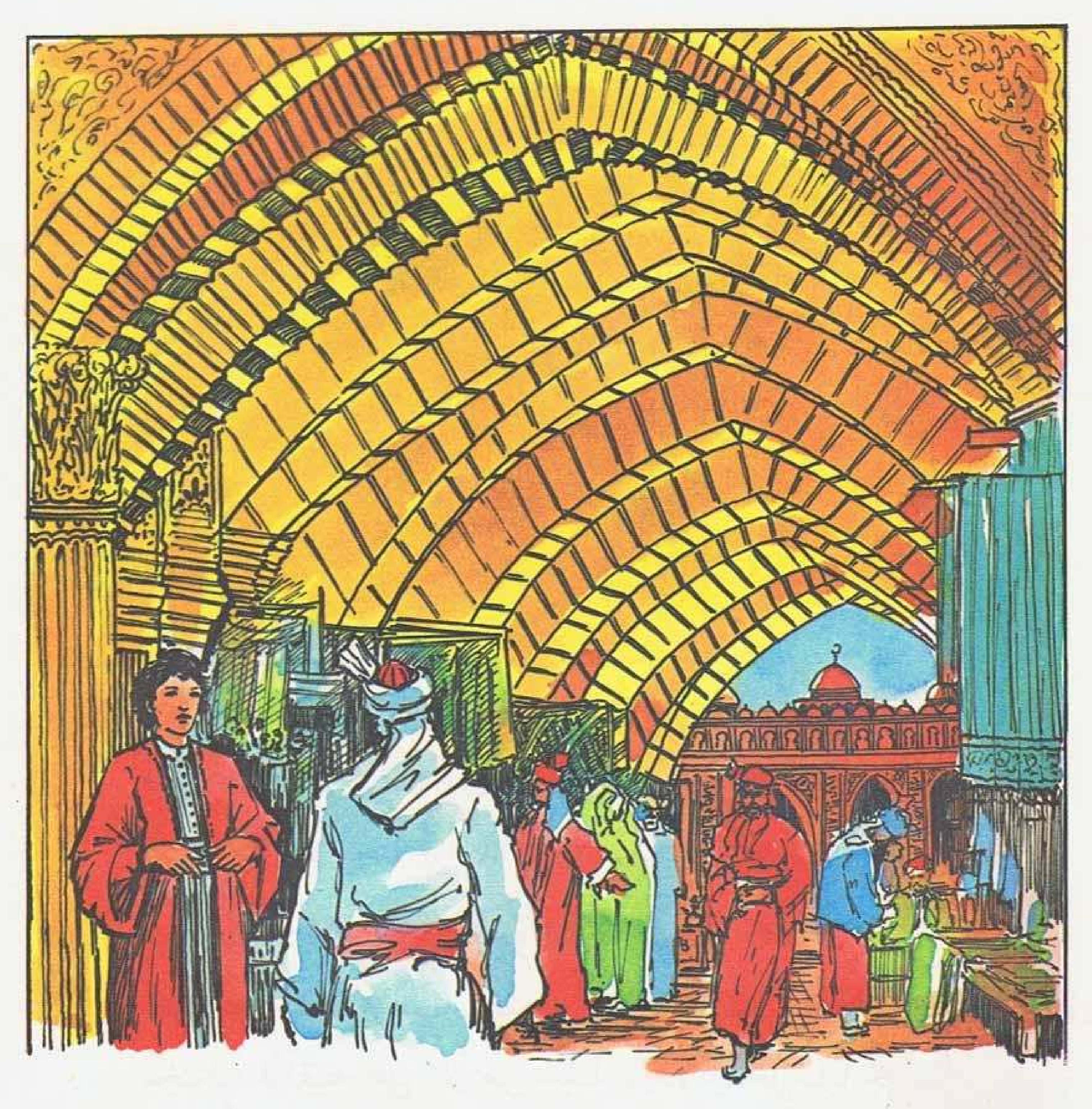
البحارةُ والمسافرونَ ، وقرر قُبطانُ المركبِ تخفيفَ حُمولتهِ ، فأَمرَ البحارةَ بإلقاءِ بعضِ البضائعِ والسلالِ في البحرِ حتى يُنقِذَ المركبَ والرُكّابَ منَ الغَرقِ .

تَنَبَّهَ مَعَدٌّ لِضجيجِ البحارةِ ، ورأى من خلالِ شقٍّ صغيرٍ في سلِّه السِلالَ تُلقى في البحرِ ، فخافَ خوفاً شديداً ، لكنَّ الخوفَ لم يمنَعْهُ من حُسنِ التصرفِ ، فاستغلَّ ظلامَ الليلِ ، وخرجَ من السَّلِ بهدوءٍ ، وعَمدَ إلى ركنٍ مُظلمٍ في المركبِ فاختبأَ فيه . ولما نظرَ إلى سلِّهِ من بعيدٍ شاهدَ بحارَينِ يحملانِهِ ويلقيانهِ في البحرِ ، فحمِدَ اللهَ على نجاتِه .

ولما أَطلَّ النهارُ زَحفَ بينَ أَكوامِ البضائعِ ، وأَخفى نفسَه تماماً عن أَعينِ الناسِ . وبقيَ يومَه بدونِ طعامٍ أَو شرابٍ .

ومع شروقِ شمسِ اليومِ التالي ، كان المركبُ يُلقِي شراعَه في أَحدِ المرافىءِ الكبيرةِ .

كانَ مَعَدٌّ ينظر بحذرٍ بالغٍ إلى البحّارةِ يُلقون حبالَهم إلى اليابسةِ ، ويربِطونها في أَماكنَ مخصصةٍ لها ، فقرَّرَ أن ينزِلَ على الحبلِ الذي يربطُ مؤخرةَ المركبِ بالميناءِ ،



فنهضَ بخِفَّةٍ وسارَ بحذَرٍ على رؤوسِ أَصابعِهِ حتى بلغَ مؤخرةَ المركبِ دونَ أَن يراهُ أَحدٌ . ثمَّ انزلقَ على الحبلِ إلى الأَرضِ ، وأَطلق ساقيه للريحِ . فلم يره البحارةُ إلا وهو يغيبُ بينَ الناسِ .

كانَ جائعاً ، تعِباً ، لكنَّ فرَحَهُ بالنجاةِ أنساهُ تعبَهُ وجوعَه ، فأَخذَ يتمشى في أَسواقِ المدينةِ ، وقد أَذْهلته مشاهدُها وكثـــرةُ الناسِ فيها عن نفسِه . لكنه شعرَ بالوَحشةِ والغُربــةِ عندما أَقبلَ الليــلُ بظلامِه وبــرْدِه . وأَخذت الأَسواقُ تفرَغُ من الناس ، كلٌّ واحد يذهــبُ إلى بيتهِ ، أما هُوَ فلا بيتَ له ، ولا يعرفُ إلى أَينَ يذهبُ أَو أَينَ ينامُ .

وعندما اشتدَّ البردُ أَخذَ يبحثُ عن مكانٍ دافىءٍ ينامُ فيهِ ، عسى أَن يستطيعَ في اليومِ التالي أَن يجدَ عملاً شريفاً يعيشُ منه فلا يحتاجُ أَحداً ، ولا يرتكبُ منكَراً .

وبينما هوَ سائرٌ في أَحدِ الأَزقةِ المحيطةِ بالسوقِ ، وقعَ نَظرُه على مشْهدٍ مرعبٍ . فقد رأَى رجلاً يطعنُ رجلاً آخرَ بخِنجرٍ فيُلْقيهِ على الأَرضِ ميْتاً ، ثم يدخلُ باباً جانبياً ويُغلِقهُ خلفَه بقوةٍ .

أَفــاقَ معدٌ من دهشتِه وعددٌ من الخيالةِ يحيطونَ به ، فأَخذَ يرتجفُ من شدَّةِ الخوفِ ، لكنه تمالكَ نفسَه عندما سأَله أَحدُهم :



ـ أَيُّها الفتى منذُ متى أَنتَ في هذا المكانِ ؟ وهل شاهـدتَ القاتِلَ الذي طعنَ هـذا الرجُـلَ ؟ أَجِبْ بالصدقِ .

كانَ معـدٌ يتمتعُ بفضائلَ كثيرةٍ ، ومن بينها الصدقُ ، فأَجابَ فوراً وبدون تردد :

ـ نعم لقد رأَيتُ رجلاً يطعنُه ثم يهربُ ويختفي خلفَ ذلك البابِ .

فأَمرَ قائدُ الجنودِ عدداً منهم بملاحقةِ القاتلِ ، وأَشارَ إلى بعضِ معاونيه كي يحملوا الفتى معهم .

خاف معدٌّ خوفاً شديداً ، وخشِيَ أَن يكونَ قد ارتكبَ خطأً كبيراً بصدقِه ، لكنَّه سلَّمَ أَمرَه لله ، وانتظرَ ليرى ما يحدُث .

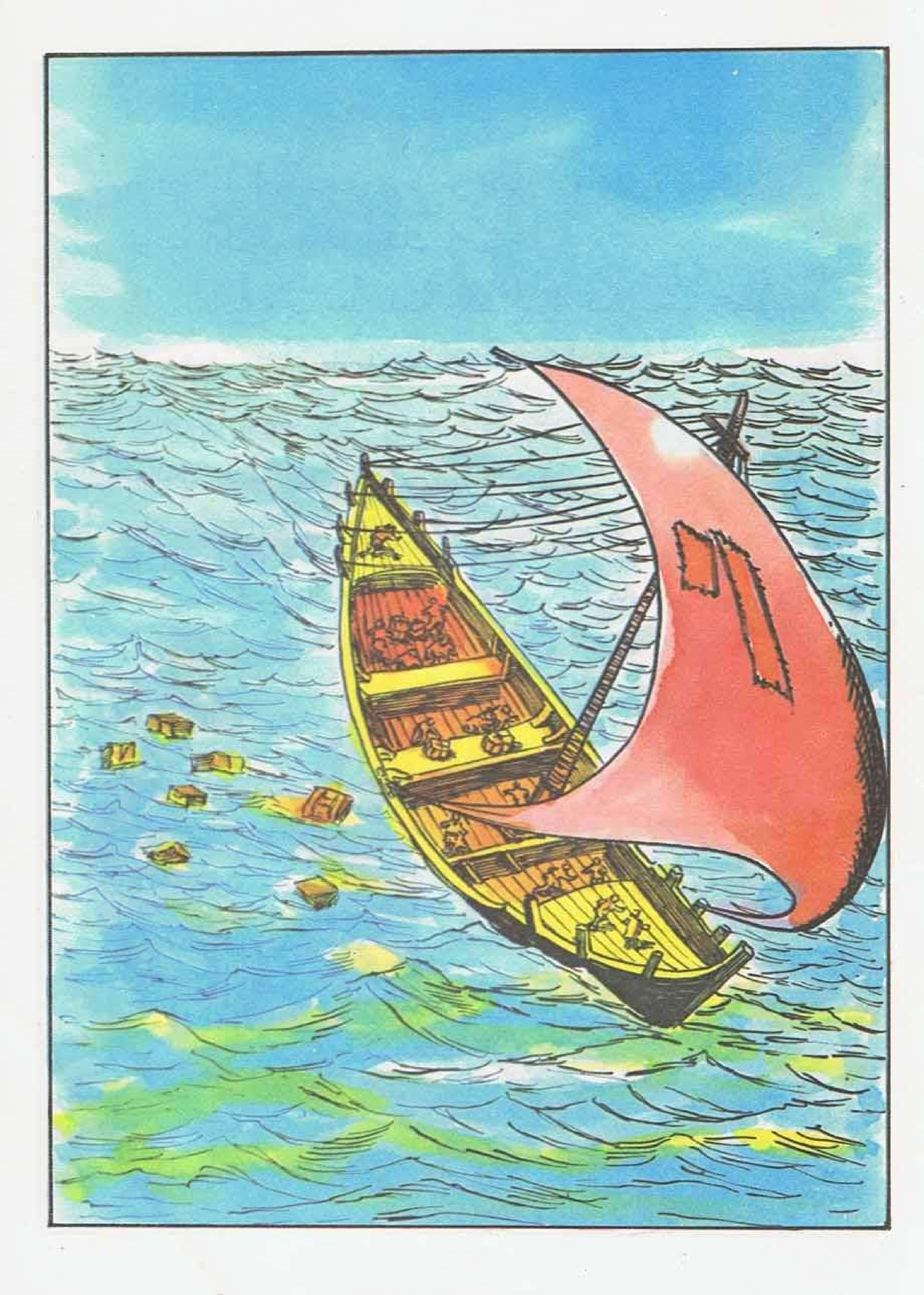
سارَ به الجنودُ مَسافةً قصيرةً ، ثم أَنزلوه أَمامَ قصرٍ عظيمٍ ، فحضرَ أَحدُ الخدمِ ورافقه إِلى غرفةٍ واسعةٍ فيها أَثاثٌ فاخرٌ وسريرٌ مريحٌ ، وطلبَ إِليه أَن ينامَ في ذلك السريرِ ، فاستلقى عليه بسرعةٍ ، وغطَّ في نومٍ عميق .

وعندَ الصباحِ صحا من نومِه على صوتِ خادمٍ وسيمٍ ، يحملُ ثياباً جميلةً ، أَخَذَهُ إِلى الحمامِ ، وطلبَ إِليه ارتداءَ تلكَ الثيابِ ، ثم قادَه إِلى إِيوانٍ كبيرٍ ، تركَه فيهِ وحيداً وانصرف .

وبينما هو واقفٌ يُجيلُ نظرَه في أَثاثِ الإِيوان ، فُتحَ البابُ ودخلَ سيدُ القصرِ ترافقُه زوجُه وابنتُه ، وإِذا به قائدُ الفرسان الذي التقاه بالأَمسِ في مكانِ الجريمةِ. فقال معدٌ :

ـ سيدي أَنا ابنُ غوّاصٍ فقيرٍ ، يبحثُ عن اللؤلؤِ في أَعماقِ البحار ، وقد طمعتُ في مشاهدةِ عجائبِ الدنيا ...

ـ لا تخشَ شيئاً يا بني ، فأَنت تشبهُ ابناً لي اسمُه « ميناز » فُقِدَ منذُ أَشهرٍ ، وأَنا أَخرجُ كلَّ ليلةٍ مع الجنودِ أَبحثُ عنه ، وقد شاءت المصادفاتُ أَن أَلقاكَ في مكانِ الجريمةِ ، فأَعجبني صدقُكَ وسُرِرْتُ بأَنَّكَ تشبهُ ولدي



الذي آمل أن ألقاه في يومٍ من الأيام ، وأنتَ الآن مكانه ، وهذهِ أُمُّك ، وهذهِ أُختُك .

وهكذا وجدَ معدٌّ نفسَهُ وسَطَ أُسرةٍ غنيةٍ تحبُّهُ وتغمرُه بحنانها ، فأَحبها بدوره ، وأَخلصَ لها ، وأَخذَ يَقضي أَيامَه في اللعبِ مع أُختهِ ، والحديثِ إلى أُمه عن مَسقط والحياةِ فيها .

مضت الأَيامِ والشهورُ ، وكبِرَ الفتى وأُختُه ، فأَصبحا يخرجانِ قُبيلَ المَغيبِ كلَّ يومٍ ، يتنزهانِ على شاطىءِ البحرِ .

وذاتَ يومٍ رأَى معدٌّ المراكبَ تختفي خلفَ الأُفقِ ، فتذكَّر أَهلَه خلفَ البحارِ ، واشتدَ به الحنينُ إلى ترابِ الوطنِ ، فحزنَ حزناً شديداً . ولاحظت أَختُه علاماتِ الحزنِ على وجهِه ، فسأَلتْه عما به ، فصارَحها بحقيقةِ أَمرِه ورغبتِه في زيارةِ أَهلِه .

ولما عادا إلى القصرِ أَعلَمتْ والديها برغبةِ معدٍ في زيارةِ أَهلِه ، فرحبا بالفكرةِ ، وعزما على مرافقتِه في رِحلتِه إلى مَسْقَط .

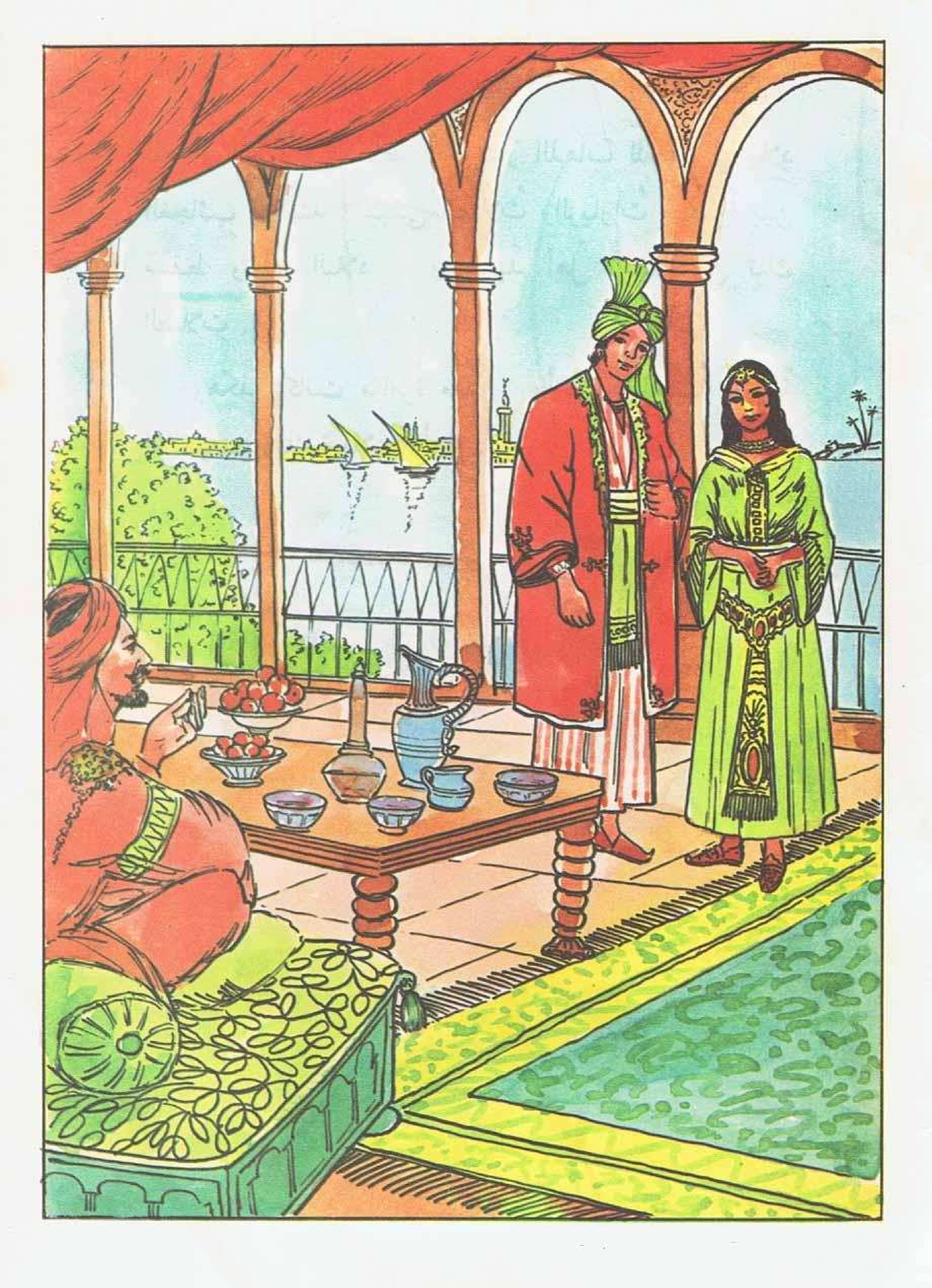


وفي اليوم التالي بدأ التحضيرُ للرحيل ، فأَعدَّ الجنودُ بمُساعَدةِ بعضِ الخدمِ مركباً عظيماً . وحمَّلوه بجميعِ أنواعِ البضائعِ والهدايا . وخلالَ أَيامٍ قليلة كان المركبُ يُبحر من بلادِ العجائب باتجاه مسقط .

لم تمضِ سوى أَيامٍ قليلة حتى كانَ المركب يرسو في ميناءِ مدينةِ مَسقط ، ولما علمَ أَميرُها بقدومِ مركبٍ كبيرٍ قدَّر أَن فيهِ رجلاً عظيماً ، فخرج لاستقبالِه في مَوْكبٍ كبير . وأنزل المسافرينَ ضيوفاً عليه .

وبعد ثلاثةِ أيامٍ من الضيافةِ ، كما هي عادةُ العرب ، سأَلَ الأَميرُ ضيوفَه عن غايتِهم . فأَخبره مَعَدٌّ بقصتِه وبمركزِ ضيفِهِ الكبير ، فأَرسل الأَميرُ بطلبِ أَهلِ معدٍّ ، ولما حضروا أَقام لهم حفلة كبيرة . وفرحَ معدٌ بلقاءِ أَهله وقدَّم لهم الهدايا ، وأَراد الانتقالَ معهم إلى بيتهم ، لكن أَميرَ مسقطٍ أَقسمَ على أَن يُقيمَ الجميعُ عندَه ، وينزلوا ضيوفاً عليه طيلةَ مدةِ الزيارة .

قَضى الجميعُ عدةَ أَسابيعَ في ضيافةِ أَميرِ مسقط ، ولما عزم قائدُ الجُندِ على الرحيل ، خيَّر مَعَدّاً بينَ الذهابِ



معَه أَو البقاءِ في مَسْقَط ، فاختارَ الذهابَ للعيشِ في بلادِ العجائبِ (الهند) لتبقى الصلاتُ والزياراتُ مستمرةً بين مَسْقط وتلكَ البلادِ ، ويستفيدَ أَهلُ مَسْقط من تلك الصلاتِ .

وهكذا كانت مغامرةُ معدٍّ ، وأَخلاقُه الحسنةُ وسيلةً لفائدتِه ، وفائدةِ بلادِه وأَهلِه .





حكايات النفائس للأطفال

المجموعة الأولى { حكايات من الماضي

طبع في دار النفائس ص.ب ١١-٦٣٤٧ هاتف ٨١٠١٩٤ - بيروت